قَالَ المُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

س: ما دليلُ شهادة ألَّا إله إلَّا الله؟

ج: قولُ الله تَعَالَىٰ: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾﴾[آل عمران].

وقوله تَعَالَىٰ: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾[محمَّد:١٩].

وقوله تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ﴾[آل عمران:٦٢].

وقوله تَعَالَىٰ: ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ﴾[المؤمنون:٩١] الآيات.

وقوله تَعَالَىٰ: ﴿قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْاْ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾﴾[الإسراء].

الآيات.

وغيرُها.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَّقَهُ اللهُ:

لمَّا ذكر المصنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنَّ العبد لا يدخل دين الإسلام إلَّا بالشَّهادتين، شَرَع يذكر ما يتعلَّق بدليلهما ومعناهما، وابتدأ بالشَّهادة لله عَزَّوَجَلَّ بالوحدانيَّة، ثمَّ أتبعها الشَّهادة لمحمَّدٍ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالرِّسالة.

وقال مبتدئًا فيما يتعلَّق بالشَّهادة لله بالوحدانيَّة: (ما دليلُ شهادة ألَّا إله إلَّا الله؟) أي ما الحجَّة المبيِّنة ثبوتَ هذه الشَّهادة.

فإنَّ أصل (الشَّهادة) في كلام العرب يكون عن عِلمٍ وحضورٍ وإخبارٍ.

فابتغى بيان الدَّليل الَّذي يحصل به ذلك؛ فيتحقَّق في القلب الشَّهادة لله عَزَّوَجَلَّ بالوَحدانيَّة عِلمًا وحضورًا وإخبارًا؛ فيجري اللِّسان بذلك، ويظهر أثره على الأعمال.

وذَكر المصنِّف في بيان ذلك خمسة أدلَّةٍ:

فالدَّليل الأوَّل: قوله تَعَالَىٰ: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾[آل عمران: ١٨] الآية.

ودلالتها على ما ذكره: في التَّصريح بها في قوله: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾.

وعُظِّمت شهادته سُبْحَانَهُ لنفسه، بقَرْنِها بشهادة الملائكة وأُولي العلم له بالوحدانيَّة.

وذِكر هذين الصِّنفين في الشَّهادة لله بالوحدانيَّة مبيِّنًا عِظَم أثرهما:

- فإنَّ صفة (الملائكيَّة) وكونَ أحدٍ ملَكًا مِن ملائكة الله عَزَّوَجَلَّ، يُقوِّي في ذلك أن يشهد لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بالوحدانيَّة؛ لمَا للملائكة مِن الحَظوة والمنزلة عند الله عَزَّوَجَلَّ.

- ومِثلُهم أيضًا: أُولو العِلم - أي أهله -؛ فإنَّهم يشهدون لله بالوحدانيَّة لِما عرفوه مِن دلائلها وحقائقها.

فمِن أعظم فضائل العلم: أنَّه يحمل صاحبه على الشَّهادة لله بالوحدانيَّة، ولا يتِمُّ للعبد تحقيق التَّوحيد إلَّا بعِلمٍ، والنَّاس مُتفاوتون فيه على قَدْر تفاوت حظوظهم مِن العِلم الَّذي جاء به النَّبيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

والدَّليل الثَّاني: قوله تَعَالَىٰ: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾[محمَّد:١٩]، وفيه التَّصريح بتلك الشَّهادة.

والدَّليل الثَّالث: قوله تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ﴾[آل عمران:٦٢]، وفيه أيضًا التَّصريح بتلك الشَّهادة.

والدَّليل الرَّابع: قوله تَعَالَىٰ: (﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ﴾[المؤمنون:٩١]) الآية.

ودلالته عليها: في قوله: (﴿وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ﴾)؛ إبطالًا لوجود إلهٍ معبودٍ بحقٍّ غيره.

والدَّليل الخامس: قوله تَعَالَىٰ: (﴿قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ﴾[الإسراء: ٤٢]) الآية.

ودلالته على ما ذَكر: في إبطال الآلهة سوى الله عَزَّوَجَلَّ، وإذا بطلت لم يكن المعبود الحقُّ سوى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ وهذا هو معنى شهادة ألَّا إله إلَّا الله – كما سيأتي بيانه.

قَالَ المُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

س: ما معنى شهادة ألَّا إله إلَّا الله؟

ج: معناها: نفيُ استحقاق العبادة عن كلِّ ما سوى الله، وإثباتُها لله عَزَّوَجَلَّ وحده لا شريك له في عبادته؛ كما أنَّه ليس له شريكٌ في مِلكه.

قال الله تَعَالَىٰ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾﴾[الحجّ].

قَالَ الشَّارِحُ وَفَّقَهُ اللهُ:

ذَكر المصنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ سؤالًا آخر يتِمُّ به بيان ما يتعلَّق بشهادة ألَّا إله إلَّا الله؛ فإنَّه لمَّا ذَكر دليلها ناسَبَ أن يُتبعه بذِكر معناها؛ فقال سائلًا عنه: (ما معنى شهادة ألَّا إله إلَّا الله؟).

ثمَّ أجاب عنه بقوله: (معناها: نفيُ استحقاق العبادة عن كلِّ ما سوى الله).

والجواب المذكور يبيِّن أنَّ هذه (الشَّهادة) تشتمل على أمرين:

✓ **أحدهما:** (نفيُ استحقاق العبادة عمَّا سوى الله).

✓ **والآخر:** إثبات العبادة لله عَزَّوَجَلَّ.

وهذان الأمران يجتمعان في قولنا: (معنى لا إله إلَّا الله: لا معبود حقٌّ إلَّا الله).

فالمعنى المذكور يشتمل على إثبات استحقاق الله للعبادة، ونَفْيها عن غيره؛ وهذان الأمران يُسمَّيان (رُكنا لا إله إلَّا الله).

فـ(أركان لا إله إلَّا الله) اثنان:

- **أحدهما**: النَّفي في قول: (لا إله).

- **والآخر**: الإثبات في قول: (إلَّا الله).

و(**النَّفي**) يُراد به - كما تقدَّم -: نفيُ استحقاق غير الله العبادةَ.

و(**الإثبات**) يُراد به: إثبات العبادة لله وحده.

وأشار إلى هذا المصنِّف في «سلَّم الوصول»؛ فقال:

فَإِنَّ مَعْنَاهَا الَّذِي عَلَيْهِ ... دَلَّتْ يَقِينًا وَهَدَتْ إِلَيْهِ

أَنْ لَيْسَ بِالْحَقِّ إِلَهٌ يُعْبَدُ ... إِلَّا الْإِلَهُ الْوَاحِدُ الْمُنْفَرِدُ

بِالْخَلْقِ وَالرَّزْقِ وَبِالتَّدْبِيرِ ... جَلَّ عَنِ الشَّرِيكِ وَالنَّظِيرِ

ثمَّ ذَكر المصنِّف دليلين على ما بيَّنه:

أحدهما: دليلٌ كلِّيٌّ.

والآخر: دليلٌ تفصيليٌّ.

فأمَّا الدَّليل الكلِّيُّ: ففي قوله: (كما أنَّه ليس له شريكٌ في مِلكه)؛ أي كما أنَّ الله لا شريك له في ربوبيَّته فلا شريك له في أُلوهِيَّته.

واقتصر في الدِّلالة على (الرُّبوبيَّة) بذِكر أشهَر أفرادها؛ وهو مِلك الله عَزَّوَجَلَّ للخَلْق.

وللرُّبوبيَّة أفرادٌ أُخَر؛ كالرِّزق، والتَّدبير، وغيرهما.

وهذا الدَّليل الكلِّيُّ هو استدلالٌ بالرُّبوبيَّة على استحقاق الألوهيَّة؛ أي كما أنَّ الله هو الرَّبُّ فينبغي أن يكون هو المعبود.

وهو مِن أكثر الأدلَّة دَوَرانًا في القرآن والسُّنَّة؛ فتُبيَّن معالم الرُّبوبيَّة لحمل الخَلق على تحقيق الألوهيَّة.

وقد ذَكر ابن الوزير في «ترجيح أساليب القرآن على أساليب اليونان» عن صاحب كتاب «مذاهب السَّلف» - ولم يُسَمِّه، ولم أعرفه -: أنَّ في القرآن خمسمائة آيةٍ في الرُّبوبيَّة؛ أي يُراد منها تقرير الألوهيَّة.

واختير هذا الطَّريق وغَلب ذِكرُه في القرآن والسُّنَّة؛ لسطوته على القلوب؛ فإنَّ القلوب إذا أقرَّت بالله رَبًّا أقرَّت به معبودًا؛ فإذا أقرَّت أنَّ له المُلك والخَلْق والرَّزق وتدبير الأمر، أقرَّت بأنَّ الله عَزَّوَجَلَّ وحده هو الَّذي يستحقُّ العبادة دون غيره.

والنَّظر في دلائل الرُّبوبيَّة من الآيات الشَّرعيَّة أو الكونيَّة عظيم المنفعة؛ فبه يستقرُّ الإيمان، ويقوى اليقين.

فإذا قرأ العبد آيات الرُّبوبيَّة الواردة في القرآن الكريم، عَظُم في قلبه هذا المعبود؛ فاستقرَّ إيمانه، وثَبَت يقينه.

واعْتبِر هذا في سورة الفاتحة الَّتي نقرأُها في كلِّ صلاةٍ، وصُدِّرت بتقرير الرُّبوبيَّة في قوله تَعَالَىٰ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾ [الفاتحة]؛ فإذا قرَعَ القلبَ قولُ الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ [الفاتحة]، واستحضر العبد أنَّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ هو ربُّنا وربُّ العالَمين أجمعين؛ عَلِم عظيم إحاطة الله عَزَّوَجَلَّ بالخَلْق؛ مِلْكًا، ورَزقًا، وتدبيرًا، وتصريفًا؛ فعَظَّم الله عَزَّوَجَلَّ، وقَوِي إيمانه، واستقرَّ يقينه.

وقُل مِثل هذا في النَّظر إلى الآيات الكونيَّة للرُّبوبيَّة؛ فالَّذي يُقلِّب ناظِرَيْه في آيات الرُّبوبيَّة في الكون الفسيح يزداد إيمانه، ويعلم أنَّ هذا الكون المكوَّن والفَلك المُدبَّر له

ربٌّ هو الَّذي يستحقُّ أن تكون له العبادة.

وقد ذَكر ابن القيِّم في أحوال ابن تيميَّةَ الحفيد: أنَّه كان ينزل إلى غُوطة دمشق؛ فينظر إلى أطيارها وأزهارها وأشـجارها، ويذكر أنَّ ذلك يزيد يقينه وإيمانه؛ لأنَّ العبد يُقلِّب ناظرَيْه بين أصنافها وأفنانِها وألوانِها وأحوالها؛ اخضرارًا ويُبْسًا، وإزهارًا وبَذْرًا، وطَوَفانًا وقَرارًا؛ فيعظم في قلبه هذه الحال، ويعلم أنَّ الله عَزَّوَجَلَّ هو الخالق المالك المُدبِّر لها؛ فتقوى عبوديَّته لله عَزَّوَجَلَّ، ويزداد إيمانه.

وقد قال الأوَّل:

تَـأَمَّـلْ فِي نَبَـاتِ الأَرْضِ وَانْظُرْ ... إِلَى آثَـارِ مَـا صَـنَـعَ الْـمَـلِـيـكُ

عُيُونٌ مِنْ لُجَيْنٍ شَـاخِصَـاتٌ ... بِـأَحْـدَاقٍ هِي الـذَّهَـبُ السَّـبِيكُ

عَلَى كُثُبِ الزَّبَرْجَدِ شَـاهِدَاتٌ ... بِـأَنَّ الله لَـيْـسَ لَـهُ شَـرِيـكُ

وأمَّا الدَّليل التَّفصيليُّ: فقوله تَعَالَىٰ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ﴾[الحجّ: ٦٢] الآية.

فالحقُّ المُثبت لله عَزَّوَجَلَّ هنا هو الألوهيَّة المشار إليه باسم (الله)، و**(الألوهيَّة)** هي العبوديَّة.

والمُبطَل هنا: دعوة غيرِه؛ وذلك في قوله: ﴿وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ﴾[الحجّ: ٦٢]؛ فإنَّ (الدُّعاء) اسمٌ للعبادة كلِّها، ومنه: حديث النُّعمان عند أصحاب السُّنن؛ أنَّ النَّبيَّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «**الدُّعَاءُ هُوَ العِبَادَةُ**»، وإسناده صحيحٌ.

فتقدير الآية: (وأنَّ ما يعبدون مِن دونه هو الباطل)؛ و**(الباطل)** - كما تقدَّم -: ما لا

حقيقة له ولا خير فيه.

فهذه الآية دالَّةٌ على النَّفي والإثبات في جملة الشَّهادة لله بالوحدانيَّة:

- **فالنَّفي**: في قوله: (﴿وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ﴾).
- **والإثبات**: في قوله: (﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ﴾)[1].

(١) إلى هنا تمام المجلس الثَّاني، وكان بعد العصر يوم الجمعة الحادي والعشرين من ربيعٍ الآخِر، سنة ثلاثٍ وأربعين بعد الأربعمائة والألف، ومدَّتُه: ساعةٌ وتسعٌ وثلاثون دقيقةً.